

( انشاء دولة اسرائيل - تعميق التجزئة العربية )  
وهو وان لم يشر بصورة مباشرة الى هذا الترابط  
المضوي الا ان السياق العام للكتاب : اهتمام  
اوروبا بالشرق - التذرع بحماية المسيحيين -  
تجربة محمد علي - القضية الفلسطينية - استقلال  
لبنان القائم على الطائفية ، كل هذا يؤكد الترابط  
ويظهر بشكل واضح ان الوحدة العربية هي خطر  
حقيقي يهدد المصالح الاستعمارية لانها السبيل الى  
التقدم والتنمية والاستقلال .

وفي النهاية نرى من المفيد ان نضع امام القارئ  
هذا المقطع من المقدمة التي وضعها المؤلف لكتابه :  
« ان ليبرالية محمد علي قد فتحت الشرق الاوسط  
امام السياح والحجاج الاوروبيين ، فاصبح الوضع  
السياسي لمدينة القدس والامتيازات التي منحها  
السلطة الاسلامية للحجاج المسيحيين موضع  
تساؤل ، لم تعد هذه الحقوق والواجبات كافية .  
وهنا تفتق خيال الحكومة النمساوية عن مشروع  
بتدويل الاماكن المقدسة . وقد رفض هذا المشروع  
بالاجماع الا ان الكثير من المؤسسات الدينية  
والسياسية والثقافية ستتخض عنه وتتحول الى  
قلاع للنفوذ الغربي . فازاء النظام الكنسي الشرقي ،  
الارثوذكسي بشكل خاص ، المدعوم من روسيا ،  
تقام ابرشية انكلو - بروسية لخدمة مؤمنين لا  
وجود لهم في الاصل وتماد اقامة البطريركية  
اللاتينية وذلك لارجاع تقليد يعود لزمان الصليبيين .  
والرابط بين مختلف هذه المؤسسات المتنافسة ليس  
رابطاً عفويًا ابدًا . وبالإضافة الى هذه المؤسسات  
أخذت تولد المشاريع السياسية - الاجتماعية  
الطموحة التي تفتقت عنها مخيلات بعض منظمات  
الفرسان الصليبيين وبعض كبار رجال المال  
اليهود . فكان هناك مشروع بانشاء ملكة  
ارستقراطية صليبية في لبنان وآخر بعودة كنيهة  
اليهود الى فلسطين . كان هناك الكثير من المشاريع  
والكثير من المؤسسات والكثير من البذور للمستقبل  
ايضا » .

كل هذا يدفنا الى التساؤل : هل هذا الكتاب  
كتاب تاريخ ام هو قصة تنبؤية ام ان التاريخ يعيد  
نفسه ؟ ان الاجابة على هذا تكمن في تراءة هذا  
الكتاب القيم والذي سد نقصا كبيرا في المكتبة  
التاريخية العربية .

**ماجد نعمة**

مسلمين) خاصة في سوريا ، استغلال الخصوصيات  
الاقليمية لكل بلد ( في لبنان وسوريا وفلسطين ) ،  
الاعتماد على الجوايس والمملاء ( القنصليات  
- المرسلين ) ، العمل العسكري المباشر ( مساعدة  
عسكرية بروسية وروسية للجيش العثماني - تدخل  
عسكري مسلح ) ، التفكير بانشاء وطن قومي  
اليهود في فلسطين ليكون قاعدة امامية للاستعمار  
الاوروبي في المنطقة ولائشال اي تحرك عربي تحرري  
في المستقبل .

وبالنسبة لهذه النقطة الاخيرة بالذات ، يخصص  
المؤرخ حوالي مئتي صفحة ( من ص ٢٢٥ الى ص  
٥١٦ ) للكلام عن المشاريع الكثيرة التي بحثت  
آنذاك والمتعلقة بمصر فلسطين . وهو يشدد على  
مشروعين رئيسيين فثلا في ذلك الوقت وهما :  
مشروع بارسال اليهود الى فلسطين ومشروع تدويل  
القدس . والجدير بالذكر ان هذين المشروعين قد  
برزوا بشكل واضح مباشرة بعد تصفية محمد علي  
وهذا ما يدفنا الى القبول بوجود علاقة متينة  
وعضوية بين أحداث المنطقة ككل والقضية  
الفلسطينية بشكل خاص .

هذه هي الخطوط المريرة لهذا الكتاب  
الضخم والذي لا غنى عنه للباحث في تاريخ المنطقة  
العربية المعاصر ، خاصة وانه يعتمد في مراجعه  
على الوثائق الاوروبية ( المحفوظات الدبلوماسية  
لكل من النمسا وبروسيا وروسيا وفرنسا وبريطانيا)  
وعلى اهم ما كتب حتى الان عن تاريخ المنطقة .  
الا ان الثغرة الوحيدة في هذا المجال ( وهذا في  
رأينا لا يعود الى المؤلف ) هو عدم وجود اية مراجع  
عثمانية والسبب في ذلك هو ان الحكومة التركية  
لم تفرج حتى الان عن الوثائق والمحفوظات المتكسدة  
لديها . ثم ان المؤلف يضيء لنا حقبة مجهولة من  
تاريخنا المعاصر ما زالت مضاعفاتها وآثارها جاثمة  
على الاحداث الراهنة . فهو قد اضاء لنا الحقبة  
التي شهدت ولادة القومية العربية ( وهذا حسب  
تقرير القنصل النمساوي يون بروكش الذي قال  
بالحرف الواحد : « انني ارى الاعجاب المتزايد  
بمحمد علي في كل البلاد الناطقة باللغة العربية  
وارى يقظة الروح القومية العربية » . . . ) وولادة  
اول دولة عربية موحدة . كما اشار الى التاريخ  
الذي بدأت فيه معركة الاستعمار ضد الوحدة  
العربية ونتائج هذه المعركة التي نعيشها اليوم